

## نظريات القراءة على ضوء علم اللغة النفسي

Mohammad Zainal Hamdy  
STIBA DUBA Pamekasan  
Hamdyhernandez14@gmail.com

### ملخص البحث

ظهر الاهتمام بعلم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة *psychology of reading* في كتابات اللغويين منذ منتصف القرن العشرين، حين تحدث اللغوي البنيوي ليونارد بلومفيلد عن القراءة، ووصفها بأنها عملية فك الرموز المكتوبة *decoding process*، وذلك وفقاً لنظرته العامة لطبيعة اللغة بوصفها أبنية شكلية، وتفسيره لاكتسابها على أنه عملية سلوكية آلية، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الأول. ونماذج القراءة وهي ثلاث مجموعات: نماذج القراءة الجزئية الحرفية، ونماذج القراءة الكلية، ونماذج القراءة التفاعلية. الكلمات المفتاحية: نظريات، القراءة، علم اللغة النفسي

### المقدمة

يرى اللغويون أنّ الأصل في اللغة الكلام الشفوي، وأن الكتابة مظهر ثانوي طارئ على اللغة؛ ويستدلون على ذلك بأن الغالبية العظمى من لغات العالم شفوية غير مكتوبة، وأن الإنسان يكتسب لغته الأم، ويعد ناطقاً بها، ولو عاش طول حياته أمياً لا يقرأ ولا يكتب. وعلى الرغم من صحة المبدأ الذي انطلقت منه هذه النظرة، فإن القراءة تبقى مظهراً لغوياً مهماً، وتمثل مرحلة من مراحل النمو اللغوي، وبخاصة في مرحلة الدراسة الأولية للأطفال. بل إن القراءة أهم مظهر لغوي يتميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات الأخرى؛ فهي سمة حضارية، وأداة لنقل العلوم والمعارف من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أخرى، خاصة في الثقافة العربية الإسلامية. بيد أن القراءة عملية عقلية ذهنية معقدة، لا يقدر عليها إلا الإنسان بما حباه الله من عقل، وما وهبه الله من قدرات ذهنية.<sup>1</sup>

### البحث

#### مفهوم القراءة

القراءة هي تعرّف وفهم ونقد وتفاعل، إنها نشاط عقلي يستلزم تدخل شخصية الإنسان بكل جوانبها.<sup>2</sup> معنى قرأ في اللغة: تقول (قرأ) الكتاب - قراءة، وقرّناً، تتبع كلماته نظراً ونطقاً بها، وتتبع كلماته

<sup>1</sup> . عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، (سننري سور الأزبكية) ص ٣٣٧

<sup>2</sup> . د. رشدي طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه، ص ١٧٥

ولم ينطق بها، وسميت حديثاً بالقراءة الصامتة. والتعريف اللغوي تمثل القراءة الجهرية، والقراءة الصامتة، أما التعريف الاصطلاحي للقراءة: ففي النصف الأخير من القرن العشرين كثرت الأبحاث والدراسات حول القراءة ونتيجة لهذه الدراسات تطور مفهوم القراءة من مفهوم يسير يقوم على أن القراءة عملية ميكانيكية بسيطة إلى مفهوم معقد يقوم على أنها نشاط عقلي يستلزم تدخل شخصية الإنسان بكل جوانبها.<sup>٣</sup> وأيضاً القراءة عملية معرفية تستند على تفكيك رموز تسمى حروفا لتكوين معنى.<sup>٤</sup> إذن مفهوم القراءة وهي قراءة الكتابة باللسان أو بالفكر لفهم المعنى يحتوي في النص.

### القراءة عملية لغوية نفسية

تتم عملية القراءة إما عن طريق عملية الإبصار إذا كانت القراءة صامتة أو جهرية، وإما عن طريق السماء إذا كانت سمعية (قورة-١٩٧٢-ص ص ١٢٥/١٢٩)

أولاً- القراءة عن طريق الإبصار

لايختلف الإبصار عموماً في القراءة عنه في عمليات الرؤى الأخرى. فصورة الشجرة مثلاً عندما تراها العين تقع على شبكية العين مقلوبة بتأثير الضوء المنبعث منها إلى العين طبقاً لقانون الإبصار، ومن ثم يقوم العصب البصري بنقلها إلى المخ حيث تعادل ويستبين مدلزلها ويصبح في الإمكان التعبير عنها بصورة أو بأخرى.

وكذلك فإن صورة الرموز الكتابية تقع على الشبكية مقلوبة حين ينظر إليها القارئ بفعل الأشعة المنبعثة منها والتي تمر من خلال القرنية إلى إنسان العين مخترقة السائل الهلامي، ثم يتولى العصب البصري نقلها إلى المخ كى تعادل وتترجم باستثارتها للمعنى والخبرات التي سبق للقارئ اكتسابها، وبهذا تتم عملية القراءة الصامتة.<sup>٥</sup>

بالنسبة القراءة الجهرية تزيد عملية القراءة عما سبق، إذا ان مراكز الكلام المتصلة بمركز الإبصار في المخ تصدر أوامرهما إلى أعضاء النطق لدى القارئ، حتى يصيغ الترجمة المعنوية التي قام بها المخ في قوالب لفظية وعبارات منطوقة.

وتدل الأبحاث والتي أجريت فيها يختص بحركات العين، على أن كلا من القراءة الصامتة والجهرية منجزها العين في وقفاتها المتكررة عبر السطور المكتوبة، ذلك لأنها تقف الوقفة السريعة لتحيط في أثنائها بمجموعة من الكلمات تسمى (المدى القرائي) الذي ينقله العصب البصري بجملته إلى المخ من اجل ترجمته وفهمه.

<sup>٣</sup> دكتور أحمد فؤد محمود علهان، المهارات اللغوية ما هيته وطرائق تدريسها، ص: ١٢٠

<sup>٤</sup> . ويكيبيديا، الموسعة الحرة.

<sup>٥</sup> . د. عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي،

وبعد الإنتهاء من هذه العملية تففز العين بمنتهى السرعة إلى وقفة أخرى ومدى قرائى آخر. وهي حين تففز لا تكاد ترى شيئاً. وهكذا تسير العين في ابصارها للرموز الكتابية من وقفة إلى أخرى، ومن مدى قرائى إلى مدى قرائى آخر في لمحات غاية في السرعة، فتخلص من سطر إلى سطر حتى ينتهى المكتوب الذي ويراد قراءته.

وقد يخطئ القارئ في قراءة السطر التالي فيضطر إلى استرجاع بعض ماقرأه في السطر بحركات العين الرجعية حتى يسلم الانتقال والربط بين بداية السطر التالي ونهاية سابقة. ويرجع هذا الخطأ إلى أسباب عدة، وأهم هذه الأسباب:

١. ضيق ما بين السطور، حيث يعمل ذلك على اضطراب العين عند انتقالها من سطر إلى آخر.
٢. طول السطور وامتدادها فوق مساحة كبيرة، فإن ذلك يساعد على عدم السرعة في لمح التوالى بينها.
٣. قلة التمسوس بالقراءة والتدريب عليها، إذ أن المبتدى، كثيراً ما يخطئ في الإنتقال السليم، بخلاف القارئ الناضج، حيث يندر أن يخطئ في ذلك.
٤. إجهاد العين أو إجهاد القارئ، فإن كلا من هذين النوعين من الإجهاد يؤثر في خطأ الانتقال بين السطور.

ويختلف القراء بعضهم عن بعض في عدد هذه الحركات الرجعية، كما يختلفون في عدد الوقفات وطول الزمن الذي تستغرقه الوقفة، وسعة المدى القرائى تبعاً للعوامل التالية:

- (١) درجة وضوح المعنى عند القارئ
- (٢) مستوى النضج القرائى
- (٣) رداءة الكتابة أو جودتها
- (٤) نوع القراءة
- (٥) الغرض من القراءة
- (٦) نوع المقرؤ
- (٧) مدى سلامة البصر والرغبة في القراءة

ثانياً- القراءة عن طريق الاستماع

تم القراءة عن طريق السماع بوساطة الألفاظ الصوتية التي يصدرها المتحدث ترجمة للرموز الكتابية أو غيرها من الرموز والإشارات المفهومة التي سبقت الإشارة إليها، فتستقبلها أذن السامع ويتولاها العصب السمعى حينئذ بالنقل إلى المخ حيث تترجم وتفسر ويدرك معناها بما تستشير من خبرات سابقة.

وإذاً فالقراءة السمعية بهذا التفسير تشابه كلاً من القراءة الجهرية والصامتة في العملية الأخيرة التي تتم في المخ والتي بمقتضاها يحدث التفسير وإدراك المعنى للألفاظ والعبارات والرموز والإشارات وهذه العملية هي جوهر عملية القراءة.

أما العمليات السابقة عليها فهي وإن كانت في ذاتها هامة إلا أنها تستهدف في النهاية هذه العملية الأخيرة التي تتم القراءة بمقتضاها.

وقد جاء اختلاف تلك نتيجة اختلاف في طبيعة المادة المقروءة. ففي القراءة الصامتة والجهرية كانت رموزاً تصدر عنها إشعاعات ضوئية لا يمكن لغير العين أن تستقبلها، ومن ثم كانت السبيل إلى جوهر العمليات القرائية. وفي القراءة السمعية كانت قوالب صوتية وألفاظاً مسموعة يستحيل على غير الأذن أن تستقبلها وتنقلها إلى مركز الترجمة والتفسير.

### السهولة والصعوبة في القراءة

يختلف فهم القارئ تبعاً لنوعية المادة والموضوع المقروء. فلغة الجرائد والمجلات والصحف والقصص تختلف عن لغة الوثائق الرسمية والكتب العملية. ولكل مجال مفرداته الخاصة وتعابيره التي تميزه عن غيره. وسبق أن قام بعض العلماء بتصنيف الألفاظ إلى دارجة ونادرة. ووضعوا لذلك معاجم خاصة تصلح للإستخدام المحلي (في بيئة معينة).

ويتحكم في سهولة أو صعوبة القراءة عوامل تختص بكثرة المفردات القصيرة الدارجة التي تسهيل عملية القراءة، على حين تكون الكلمات الطويلة النادرة صعبة والكلمات القصيرة ترددها في النص يشير إلى أنها علامة من علامات السهولة.

هذا والحكم على كون الكلمة دارجة أو نادرة يدخل فيه اعتبارات عدة أهمها ما يتعلق بالوسط والمستوى الثقافي لكل إنسان.

وعادة ما يهتم الكاتب عند رعبته في تسهيل عملية المطالعة على قراءه بأمره تتعلق بالتقاء المفردات الدارجة عدم الإكثار من الجمل الطويلة إثارة اهتمام القارئ.

ويستخدم اختبارات عديدة لتقدير السهولة أو الصعوبة في النصوص المقروءة تعتمد على فهم ما يقرأه التلميذ من نصوص ومنها ما يتحقق من سهولة القراءة ومنها ما يعتمد على معرفة مستوى آثار الاهتمام في المادة المقروءة.

### القراءة وعلم اللغة النفسي

ظهر الاهتمام بعلم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة *psychology of reading* في كتابات اللغويين منذ منتصف القرن العشرين، حين تحدث اللغوي البنيوي ليونارد بلومفيلد عن القراءة، ووصفها بأنها

عملية فك الرموز المكتوبة *decoding process*، وذلك وفقا لنظريته العامة لطبيعة اللغة بوصفها أبنية شكلية، وتفسيره لاكتسابها على أنه عملية سلوكية الية، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الأول.

بيد أن اراء نوم تشومسكي وأتباعه، التي ظهرت في نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، وحولت الدراسات اللغوية الى دراسات لغوية نفسية معرفية، قد مهدت لدراسة عمليات القراءة دراسة لغوية نفسية حقيقية، وفتحت لعلماء القراءة افاقا جديدة لتفسير هذه العمليات تفسيراً لغوياً نفسياً معرفياً. وكانت اراء تشومسكي حول اكتساب اللغة، وتمييزه بين الكفاية والأداء، وتفريقه بين الأبنية السطحية والبنية العميقة، أبرز القضايا التي استفاد منها ميدان علم القراءة في دراساته وبناء نظرياته. وأبرز هذه القضايا ما قدمه اللغويون المعرفيون الفطريون من أن الطفل لا يكتسب لغته بالتقليد والتقرار والتعزيز، وإنما يكتسبها بالتفكير والتحليل وفرض الفروض واختبارها معتمدا على كفايته اللغوية الكامنة، وعلى الدخل اللغوي بنوعية: المنطوق والمكتوب.<sup>6</sup>

وبناء على ذلك، برز في ميدان القراءة عدد من القضايا التي لم تكن معروفة في مرحلة سيطرة الاتجاهات البنيوية السلوكية على دراسة اللغة. وكان من أهم هذه القضايا دراسة اللغة المكتوبة وأهميتها في اكتساب اللغة، تلك القضية التي لم يعدها اللغويون البنيويون لغة طبيعية، ولم يدرسها علماء القراءة من قبل دراسة لغوية نفسية.

وكان أول من تأثر بالاراء اللغوية النفسية من علماء القراءة وطبقها في دراساته كنت جودمان وفرانك سميت، وذلك في مدة لم تتجاوز عشر سنوات من إعلان تشومسكي نظريته اللغوية النفسية. فقد نشر كنت جودمان دراسته الأولى عام ١٩٦٥م التي عنوانها: *A Linguistic Study of Cues and Miscues in Reading*، وفسر فيها أخطاء الأطفال في القراءة تفسيراً لغوياً نفسياً حين عدها دليلاً على ما يجري في داخل ذهن الطفل والمرحلة التي يمر بها في اكتساب لغته ومعالجته لفهم المقروء معالجة لغوية، بدلا من النظر إليها بوصفها أخطاء يجب تصحيحها والتخلص منها. لكن دراسته التي نشرها عام ١٩٦٧م بعنوان: *Reading: A Psycholinguistic Guessing Game* تمثل الدخول الحقيقي لعلم النفس القرائي ميدان علم اللغة النفسي، وبداية العلاقة الحميمة بين علم اللغة النفسي وميدان القراءة، حيث أصبحت دراسة نظريات القراءة منذ ذلك التاريخ جزءا من هذا العلم وميدانا من ميادين البحث فيه وفق النظرة اللغوية النفسية المعرفية. فقد توصل جودمان في هذه الدراسة إلى أن القارئ يعتمد في فهم النص المكتوب على ثلاثة جوانب لا ينفصل بعضها عن بعض، وهي: الجوانب النحوية، والجوانب الدلالية، والجوانب الكتابية الصوتية.

أما فرانك سميت فقد أعلن اراءه اللغوية النفسية في تفسير القراءة في كتاب أصدره عام ١٩٧١م بعنوان:

<sup>6</sup> . عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي،

Understanding Reading A Psycholinguistik Analysis of Reading and Learning to Read حيث ذكر أن القراءة ليست تعليماً ولا تدريساً للمتعلم ولكنها عملية تدرّب يتعلمها الإنسان حين ممارستها ويؤديها بنفسه. وقد حدد وظيفة معلم القراءة بأنها: ليست عملية تعليم الطفل طريقة القراءة بعلم اللغة النفسي في عبارته المشهورة التي يستشهد بها الباحثون في هذا الميدان ويصدرون بها مؤلفاتهم: (وعلم اللغة النفسي يمكن أن يؤكد حقوق الأطفال في تعليم القراءة بمساعدة الناس لا بالأساليب).

وقد اهتم الباحثون في علم اللغة النفسي بميدان القراءة ودراسة نظرياتها ونماذجها وأساليبها لسببين: أحدهما: التطور الذي حدث في علم اللغة النفسي وشقيقه علم اللغة الاجتماعي في السنوات الأخيرة من القرن العشرين.

والآخر: انصراف اللغويين المعرفيين إلى دراسة النصوص وتحليلها، والإهتمام بالدلالات المعجمية والمعاني التداولية، بدلا من الإهتمام بالجوانب الصوتية والتركيبية التي كانت سمات المدرسة البنوية الشكلية. ونظرية الربط *Schema Theory* التي هي العمود الفقري في القراءة، تعد مصطلحا لغويا نفسيا من حيث النشأة والنمو. وقد ساهم هذا الإهتمام بنمو البحث في القراءة في الدراسات التربوية، لكنه لم يؤثر بدرجة كافية على نمو البحث في أساليب التدريس وممارساته. وفي مقابل ذلك، استفاد علم اللغة النفسي من ميدان القراءة في تفسيره لفهم اللغة واكتسابها ونموها، حيث عدها رافدا مهما من روافد الدخل اللغوي لاكتساب اللغة الأم واللغة الثانية. بل إن بعض اللغويين التطبيقيين، أمثال ستيفن كراشن وغيره، قد اعتمدوا على القراءة أساسا لبناء لغة متعلم اللغة الثانية إذا توافرت فيها شروط معينة.

### نماذج القراءة على ضوء علم اللغة النفسي

يقصد بنماذج القراءة: الآراء والمذاهب والنظريات التي تفسر العمليات الذهنية التي تتم في أثناء القراءة تفسيراً لغوياً نفسياً. وتسميتها بالنماذج هنا من باب التغليب؛ فبعضها يرقى إلى درجة المذهب، وقد يصل إلى درجة النظرية. وتصنف هذه النماذج في ثلاث مجموعات: نماذج القراءة الجزئية الحرفية، ونماذج القراءة الكلية، ونماذج القراءة التفاعلية.

### أولاً: نماذج القراءة الجزئية *Bottom-up Models* :

نماذج القراءة الجزئية أو الحرفية ترجمة لما اصطلح عليه في علم نفس القراءة بنماذج القراءة من الأدنى

إلى الأعلى *Bottom-up Models* ، ويقصد بالأدنى النص المكتوب، أما الأعلى فيقصد به المعنى. وهذه النماذج يختلف بعضها عن بعض في جوانب تفصيلية معينة، ولكنها تتفق على أن القارئ يعتمد على النص المكتوب اعتماداً كلياً في طريقة قراءته للنص وفهمه لمعناه، وسوف أقتصر على ثلاثة نماذج منها أو جزها في الفقرات التالية.<sup>٧</sup>

١. نموذج جوف *Gough's Model*:

٢. نموذج لا برج وصامويل *LaBerge's and Samuel's Model*:

٣. نموذج كارفر *Carver's Model*:

### ثانياً: نماذج القراءة الكلية *Top-down Models*:

وهذه النماذج مختلفة اختلافاً بيناً عن نماذج القراءة الجزئية الحرفية السابقة، لذا سميت بنماذج القراءة من الأعلى إلى الأدنى *Top-down Models*، أي قراءة المعنى قبل قراءة النص قراءة حرفية. وهذه النماذج يختلف بعضها عن بعض، لكنها تتفق على أن القارئ لا يعتمد على النص المكتوب اعتماداً كلياً، وإنما ينطلق من المعنى الذي في ذهنه ليفهم هذا النص. وأبرز نماذج القراءة الكلية المرتبطة بعلم اللغة النفسي أنموذجان هما: أنموذج جودمان، وأنموذج سميث.

١. أنموذج جودمان *Goodman's Model*:

٢. أنموذج سميث *Smith's Model*:

### ثالثاً: النماذج التفاعلية *Interactive Models*:

ظهرت النماذج التفاعلية للإجابة عن علاقة المفردات المعجمية بفهم المقروء. وعلى الرغم من أن هذه النماذج تؤكد على أن المراحل العليا من القراءة التي يمثلها المعنى تؤثر على المراحل الدنيا التي يمثلها النص، فإنها تعترف بأن الفهم يعتمد على النص نفسه. وقد ظهرت هذه النماذج في مراحل متأخرة؛ لذا بلغت عددًا يفوق عدد النوعين الأولين، وسأتحدث عن سبعة منها فقط.<sup>٨</sup>

١. أنموذج رملهارت *Rumelhart's Model*:

٢. أنموذج ستانوفيتش *Stanovich's Model*:

٣. أنموذج رملهارت ومكلييلاند *Rumelhart's and McClelland's Model*:

٤. أنموذج كنتش وفاندك *Kintsch's and van Dijk's Model*:

٥. أنموذج جصت وكاربنو *Just's and Carpenter's Model*:

<sup>٧</sup> . عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي،

<sup>٨</sup> عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي

٦. أُنموذج أندرسون وبيرسون *Anderson's and Pearson's Model*

٧. أُنموذج بيرسون وتيرني *Pearson's and Tierney's Model*

## الخلاصة

القراءة وهي قراءة الكتابة باللسان أو بالفكر لفهم المعنى يحتوي في النص. ومن أنواع القراءة وهي ثلاثة : القراءة الصامتة، القراءة الجهرية، والقراءة السمعية.

ظهر الاهتمام بعلم النفس القرائي أو سيكولوجية القراءة *psychology of reading* في كتابات اللغويين منذ منتصف القرن العشرين، حين تحدث اللغوي البنيوي ليونارد بلومفيلد عن القراءة، ووصفها بأنها عملية فك الرموز المكتوبة *decoding process*، وذلك وفقاً لنظريته العامة لطبيعة اللغة بوصفها أبنية شكلية، وتفسيره لاكتسابها على أنه عملية سلوكية آلية، وقد سبق بيان ذلك في الفصل الأول.

ونماذج القراءة وهي ثلاث مجموعات: نماذج القراءة الجزئية الحرفية، ونماذج القراءة الكلية، ونماذج القراءة التفاعلية.

## المراجع والمصادر

عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، علم اللغة النفسي، (سنترى سور الأزيكية)

عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، (الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢ )

عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، إضاءات لمعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها، (الرياض، ٢٠١٥ م)

رشدي طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه،

أحمد فؤد محمود علهان، المهارات اللغوية ما هيته وطرائق تدريسها،

نوال عباس، فريدة سعدي، القراءة أنواعها وأهدافها وأساليبها البيداغوجية في الطور المتوسط، (كلية الآداب واللغات)

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.